



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وصحبه أجمعين.

لقد أثني الله - عز وجل - على صاحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في موضع عديدة من كتابه الكريم، وامتدحهم بأحسن الأوصاف وأكملها، وامتنَّ عليهم بالرضوان والتوبة، وأخبرهم بما أَعْدَّ لهم من الأجر الكبير والثواب العظيم.

قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبه: 100].

قال الحافظ ابن كثير - رحمة الله - : "فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبّهم أو أبغض أو سبّ بعضهم! ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر وال الخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة - رضي

الله تعالى عنه - فإن الطائفة المخوذة يعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويُسبُّونهم - عيادةً بالله من ذلك - وهذا يدل على أن عقولهم مغوكسة، وقلوبهم منكوبة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون مَنْ - رضي الله تعالى عنهم - وأما أهل السنة فإنهم يترضّون عمن - رضي الله عنه - ويسبون مَنْ سَبَّ الله ورسوله، ويروّلون مَنْ يوالى الله، ويُعادون مَنْ يعادى الله، وهو مُتّبعون لا مُبتدّعون ويقتدون ولا يبتعدون، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون)[1] اهـ.

قال الإمام البخاري - رحمه الله - : ومَنْ صَحِّبَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ رَأَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ)[2].

قال ابن تيمية - رحمه الله - : "والصحبة اسم جنس يقع على مَنْ صَحِّبَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَلِيلًاً أَوْ كَثِيرًاً؛ لكن كلّ منهم له من الصحابة بقدر ذلك، فمَنْ صَحِّبَهُ سَنَةً أَوْ شَهْرًا أَوْ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً أَوْ رَأَهُ مُؤْمِنًا، فَلَهُ مِنَ الصَّحْبَةِ بِقَدْرِ ذَلِكِ"[3].

قال الشوكاني - رحمه الله - : "ويعرف كون الصحابي صاحبًا بالتواتر والاستفاضة، ويكونه من المهاجرين أو من الأنصار، وبخبر صحابي آخر معلوم الصحبة"[4].

الأحاديث الواردة في فضائلهم:

● عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنَيْ فِي الْأَنْوَافِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونُهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوْنُهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَفْوَامُ تَسْبِيقِ شَهَادَةِ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينَهُ شَهَادَتِهِ))[5].

قال ابن حجر - رحمه الله - : "وَالْمَرَادُ بِقَرْنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الصَّحَابَةُ"[6].

● عن جابر - رضي الله عنه - عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِّنْ بَاعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ))[7].

● قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لعمر - رضي الله عنه - : "وَمَا يُدْرِيكَ لِعْلَ اللَّهِ اطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالُوا: اعْمَلُوا مَا شَاءْتُمْ فَقَدْ غَرَّتُ لَكُمْ؟!"[8].

قال العلامة خليل بن أحمد السهارنفورى - رحمه الله - : كأنه تعالى علم منهم أنه لا يجيء منهم ما ينافي المغفرة، فقال لهم: اعملوا ما شئتم، إظهاراً لكمال الرضا عنهم، وأنه لا يُتوقع منهم من الأعمال بحسب الأعم والأغلب إلا الخير، فهذه كِنَّاية عن كمال الرضا وصلاح الحال، وتوفيقهم غالباً للخير"[9].

عدالة الصحابة:

● قال تعالى في تعديلهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18].

● قال ابن كثير - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: 18]؛ أي: من الصدق والوفاء والسمع والطاعة، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ [الفتح: 18]، وهي الطمأنينة[10]. هـ.

● وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد عِلم أنه يوافيه على موجبات الرضا، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً"[11].

* قال أبو محمد بن حزم - رحمة الله : فمن أخبرنا الله - عز وجل - أنه علم ما في قلوبهم ورضي عنهم وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقيف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة، ولقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ((لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة))[12].

* قال ابن كثير - رحمة الله : "الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة؛ لما أثني الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطق به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل"[13]. هـ.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله : فإن القدر في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول - عليه السلام - كما قال مالك وغيره من أئمة العلم هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله، وإنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: "رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين"[14]. هـ.

ثناء العلماء على الصحابة:

● عن سعيد بن زيد - رضي الله عنه - قال لمشهدِ رجل منهم - أي الصحابة - مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "يُغَيَّرُ فِيهِ وَجْهُهُ خَيْرٌ مِّنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ، وَلَوْ عَمَرَ عُمْرَ نُوحَ"[15].

● عن شعبة عن منصور بن عبد الرحمن: سمعت الشعبي يقول: أدركت خمسة وأربعين من الصحابة، يقولون: علي وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قلت - أي الذهبي - : لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدررين، ومن أهل بيضة الرضوان، ومن السابقين الأولين، الذين أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه، وأن الأربعة قُتلوا ورُزِقُوا الشهادة، فنحن مُحبُّون لهم[16].

● قال الشافعي - رحمة الله : "وقد أثني الله - تبارك وتعالى - على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله ونهانهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى ممتاز الصديقين والشهداء والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهادوه والوحي ينزل عليه فعلموا ما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاماً وخاصةً وعزاً وإرشاداً، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل"[17].

● قال ابن القيم - رحمة الله : "المقصود أن أحداً ممن بعدهم - أي الصحابة - لا يساوهم في رأيهم، وكيف يساوهم؟! وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته"[18]!

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله : "فَمَنْ أَتَيَ السَّابِقِينَ الْأُولَئِينَ كَانَ مِنْهُمْ وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَأَوْلَئِكَ خَيْرُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ كَمَا ثَبَّتَ فِي الصِّحَّاحِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: ((خَيْرُ الْقَرْوَنِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثِّتْ فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونُهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونُهُمْ))، وَلَهُذَا كَانَ مَعْرِفَةُ أَقْوَالِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَأَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَأَنْفَعَ مِنْ مَعْرِفَةِ أَقْوَالِ الْمُتَأْخِرِينَ وَأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ عِلْمِ الدِّينِ وَأَعْمَالِهِمْ؛ كَالْتَفْسِيرُ وَأَصْوَلُ الدِّينِ وَفِرْوَعَهُ وَالْزَّهْدُ وَالْعِبَادَةُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْجَهَادُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ مَنْ بَعْدَهُمْ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ؛ فَالْاقْتِدَاءُ بِهِمْ خَيْرٌ مِّنْ الْاقْتِدَاءِ بِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَمَعْرِفَةُ إِجْمَاعِهِمْ وَنَزَاعِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ خَيْرٌ وَأَنْفَعُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا يُذَكَّرُ مِنْ إِجْمَاعِ غَيْرِهِمْ وَنَزَاعِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ إِجْمَاعَهُمْ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعْصُومًا، وَإِذَا تَنَازَعُوا، فَالْحَقُّ لَا يَخْرُجُ عَنْهُمْ"[19].

● قال العلامة ابن القيم - رحمة الله - في ميميته.

أولئكَ أَتَبَاعُ النَّبِيَّ وَحْزُنُهُ
ولو لَهُمْ مَا كَانُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ
ولو لَهُمْ كَادَتْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا
وَلَكِنْ رَوَاسِيْهَا وَأَوْتَادُهَا هُمْ
ولو لَهُمْ كَانَتْ ظَلَاماً بِأَهْلِهَا
وَلَكِنْ هُمْ فِيهَا بُدُورٌ وَأَنْجُمْ
أولئكَ أَصْحَابِيْ فَحِيَهَلَا بِهِمْ
وَحِيَهَلَا بِالْطَّبِيْبِينَ وَأَنْعُمْ
لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ سَلَامٌ يَخْصُّهُ
بِلْبَاعِهِ الْأَدَنِي إِلَيْهِ وَيَنْعَمُ
وَيَا لَائِمِي فِي حُبْهِمْ وَوَلَائِمِهِمْ
تَأْمَلُ هَذَاكَ اللَّهُ مَنْ هُوَ أَلْوَمْ
بِأَيِّ دَلِيلٍ أَمْ بِأَيِّ حُجَّةٍ
تَرَى حُبْهِمْ عَارِاً عَلَيَّ وَتَنْقِمُ
وَمَا الْعَارُ إِلَّا بُغْضُهُمْ وَاجْتِنَابُهُمْ
وَحُبُّ عِدَاهُمْ ذَاكَ عَارٌ وَمَائِمُ

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[1] تفسير ابن كثير (2: 398).

[2] البخاري (3: 5).

[3] مجموع الفتاوى (4: 464) الصارم المسلول (575).

[4] إرشاد الفحول (108).

[5] رواه البخاري (3651) ومسلم (2533).

[6] فتح الباري؛ لابن حجر (7: 8)، ح 3651.

[7] رواه مسلم (2496) وأبو داود (4: 213)، ح 4653، ح 652 الترمذى (5: 652) ح 3860.

[8] رواه مسلم (2494) وأبو داود (3: 47) ح 2650.

[9] بذل المجهود في حل أبي داود (18: 178).

[10] تفسير ابن كثير (4: 205).

[11] الصارم المسلول (572).

[12] الفِصَلُ فِي الْمُلْلِ وَالنَّحْلِ (4: 148).

[13] الباعث الحيث (176).

[14] مجموع الفتاوى (4: 429).

[15] رواه أبو داود (4: 212 ح 4650).

[16] السير (1: 62).

[17] إعلام الموقعين (1: 80).

[18] إعلام الموقعين (1: 81).

[19] جموع الفتاوى (13: 24).

المصادر: